البحث الخامس

علاقة الإسلام بالغرب في الخطاب الاستشراقي المعاصر "جون إسبوزيتو أنموذجا"

إعداد

سلمان بن محمد بن سعيد العطوي

باحث دكتوراه بقسم الدراسات الفكرية بكلية الدعوة وأصول الدين

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الملخص:

إن هذا البحث يبين ما العلاقة بين الشرق والغرب من وجهة نظر استشراقية معاصرة، قام بها المستشرق الأمريكي "جون إسبوزيتو"، ومجيبًا عن تساؤلات عدة:

- ما ملامح علاقة المسلمين بالغرب؟.
- ماذا يشعر المواطنون المسلمون الغربيون تجاه هويتهم؟.
- ما العلاج الذي اقترحه "إسبوزيتو" لتخفيف حدة الشد والجذب في العلاقة بين الإسلام والغرب؟.

لقد اشتملت هذه الدراسة على مبحثين، الأول يقدم تعريفًا "بجون إسبوزيتو" واسهامته العلمية في مجال الاستشراق.

وجاء المبحث الثاني ليشرح العلاقة بين الشرق والغرب وبدايتها، مستنتجًا بعض العوامل التي تطرق لها "إسبوزيتو" في أبحاثه، ساهمت في رسم ملامح العلاقة بين الإسلام والغرب. وكيف أثرت هذه العلاقة حتى على المسلمين في أوطانهم الغربية كأمريكا مثلا، وجعلتهم يشعرون بالغربة بسبب النظرة الاستشراقية المتجذرة عبر المستشرقين الأوائل، التي رسمت الصورة النمطية السلبية عن الإسلام في أذهان الغربيين غير المسلمين؟! مختتمًا هذه الدراسة بالعلاج المقترح من وجهة نظر "إسبوزيتو" لهذه العلاقة. أما عن المنهج الذي استخدم الباحث فقد استخدم المنهج الوصفي التحليلي بشكل عام، والمنهج النقدي لبعض المباحث حسب الحاجة.

وعن أبرز النتائج التي توصل لها الباحث كالآتي:

1. إن العنصرية العرقية والدينية الغربية، أنتج صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين، ساهمت في غياب الشجاعة الأدبية والعلمية لدى عدد من العلماء الغربيين المتأخرين من الدراسة العادلة لإسهامات الإسلام في الفكر الغربي.
2. الجهل بالدين الإسلامي، وخطاب الكراهية من كبار المؤثرين الغربيين عاملان مهمان في رسم ملامح العلاقة بين الإسلام والغرب.

الكلمات المفتاحية : الإسلام –الغرب – الخطاب الاستشراقي المعاصر –جون إسبوزيتو أنموذجا.

Abstract:

This study, conducted by the American Orientalist John Esposito, explores the relationship between the East and the West from a contemporary Orientalist perspective. It answers several questions:

• What are the features of the relationship between Muslims and the West?

• How do Western Muslim citizens feel about their identity?

• What remedy did Esposito propose to alleviate the tension in the relationship between Islam and the West?

This study includes two chapters.

The first introduces John Esposito and his scholarly contributions to the field of Orientalism.

The second chapter explains the relationship between the East and the West and its beginnings, deducing some of the factors Esposito addressed in his research that contributed to shaping the relationship between Islam and the West.

How did this relationship affect Muslims even in their Western homelands, such as America, and make them feel alienated due to the entrenched Orientalist viewpoints of early Orientalists, which painted a negative stereotype about Islam in the minds of non-Muslim Westerners?

Concluding this study with Esposito's proposed treatment for this relationship, the researcher utilized a descriptive and analytical approach in general, and a critical approach for some topics as needed.

The most prominent findings reached by the researcher are as follows:

1. Western racial and religious racism has produced a distorted image of Islam and Muslims, contributing to the lack of literary and scientific courage among a number of recent Western scholars to fairly study Islam's contributions to Western thought.

2. Ignorance of the Islamic religion and hate speech from prominent Western influencers are two important factors shaping the relationship between Islam and the West.

Keywords: Islam - the West - contemporary Orientalist discourse - John Esposito as a model.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد ..

لا شك إن التواصل بين الشرق والغرب حادث منذ زمن بعيد، بحسب تقلبات الأزمان، وتنقل مراكز القوى؛ فلكل زمن منها معطياته وظروفه وإمكانياته، بيد أن المعطيات الأيدلوجية، والثقل الحضاري، وأطماع الهيمنة هي سيدة المشهد منذ أن انتقلت سيادة العالم للدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، وبقيت هي الحكم في تحديد اتجاه بوصلة الأخذ والعطاء من قبل هذه الدول في سياساتها مع العالم الإسلامي.

بالرغم من أن العديد من المستشرقين الغربيين المعاصرين لهم إسهامتهم العلمية تجاه الإسلام والمسلمين، إلا أن الصورة النمطية لدى المتخيل الغربي ما زالت مسيطرة، فالاستشراق الجديد هو امتداد لسابقه القديم.

غير أن هناك صنف من المستشرقين المعاصرين لهم رأي آخر في غالب كتاباتهم تجاه الإسلام؛ حيث يغلب عليهم جانب الإنصاف والتجرد العلمي على الجانب العنصري.

إن تطور العلاقة بين الشرق الغرب لم تكن محض الصدفة؛ بل مبنية على دراسات ومراكز أبحاث وباحثين متخصصين، تخدم الأهداف الإمبريالية للدول الغربية وأمنها القومي، وغالب هؤلاء الباحثين يسيرون وفق ما تمليه عليهم حكوماتهم، وبعد فترة يظهر ما تم التخطيط له من قبل؛ وما مشروع المستشرق "برنارد لويس"[1] الداعي إلى تقسيم الشرق الأوسط عنا ببعيد.

وهناك صنف آخر من المستشرقين يغلب عليه الإنصاف في جوانب كثيرة عند تناولهم للقضايا الإسلامية–وإن لم يكن يحظى بتلك المكانة التي يحظى بها أولئك المتحاملون – إلا أنه يمكن الإستفادة منهم بتفسير ببعض المعلومات عند الحاجة إليها، أو تلميع تلك الحكومات، ومن هؤلاء المستشرق "جون إسبوزيتو"[2]، والذي زادت مؤلفاته على

([1]) مستشرق يهودي، من مواليد 31 مايو 1916م، أستاذ دراسات الشرق الأوسط في جامعة برنستون، متخصص في تاريخ الإسلام والتفاعل بين الإسلام والغرب، هو أحد أخطر وأهم علماء الشرق الأوسط الغربيين، ومن المقربين للإدراة الأمريكية، للاستزادة انظر: موسوعة وكيبيديا.

([2]) ولد في 19 مايو 1940م بمقاطعة بروكلين بمدينة نيويورك ، وهو أستاذ جامعي في الأديان والشئون الدولية والدراسات الإسلامية بجامعة جورج تاون وسيأتي التعريف به في المبحث الأول.

ثلاثين مؤلفًا، ناقش فيها وفنَّد عدداً من المفاهيم الخاطئة عند الغرب عن الإسلام، وكثيراً ما يوصي بضرورة أن يتعايش الغرب مع الإسلام، هذا وقد تعرض لبعض القضايا مثل: إلصاق الغرب تهمة الإرهاب بالمسلمين، والحقوق المهضومة للمرأة، وغياب الديمقراطية، واتهامه لبعض الحركات الإصلاحية الإسلامية.

والباحث في هذه الدراسة ركز على ثلاثة كتب "لإسبوزيتو" وهي كالتالي:

1. التهديد الإسلامي ..حقيقة أم خرافة؟[3].
2. من يتحدث باسم الإسلام؟[4].
3. مستقبل الإسلام[5].

ومما حدا الباحث لها هو اشتمالها على كثير من تساؤلات البحث ومشكلاته، وخاصة تلك المفاهيم التي استطاعت توليد قناعات لدى الغربيين تحتاج إلى زيادة توضيح وبيان، كان لجهد المؤلف في توضيحها وبيانها كبير فضل وشكر، إضافة إلى الأثر الكبير التي تركته هذه الكتب وهذه الجهود عند الغرب بتصحيح الكثير من المفاهيم لديهم عن الإسلام، والعمل من خلال هذا البحث هو الوصف لجهود هذا المستشرق والإستفادة منه في كيفية الحوار مع الغرب، وتبيين ما يحتاج من هذه الأطروحات إلى تصحيح وتقويم.

مشكلة البحث:

ما الدور الذي قام به "إسبوزيتو" في توضيح طبيعة العلاقة بين الإسلام والغرب، خاصة مع تطور الأحداث العالمية في ظل الدور الكبير للسياسة الأمريكية سلبًا كان أو إيجابًا.

فروض البحث:

- ما طبيعة الدور الذي قام به المستشرق "إسبوزيتو" في معالجة الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين من خلال توضيح العلاقة بين الإسلام والغرب؟.
- ما ملامح علاقة المسلمين بالغرب؟.
- ما موقف "إسبوزيتو" من نظرة المجتمعات الغربية للمجتمعات الإسلامية على أنها "راديكالية" غير متنوعة؟.
- كيف يستطيع المواطنون المسلمون الغربيون التوفيق بين كونهم مواطنين أصليين غربيين وبين هويتهم الإسلامية؟.

([3]) جون إسبوزيتو، ترجمة: قاسم عبده قاسم، الناشر: دار الشروق، الطبعة الثانية، 2002م.

([4]) جون إسبوزيتو وداليا مجاهد، ترجمة: عزت شعلان، الناشر: دار الشروق، دمشق، الطبعة: الثانية، 2009م.

([5]) جون إسبوزيتو، ترجمة: دار النشر للجامعات، الناشر: دار النشر للجامعات، القاهرة، الطبعة: الأولى،2011م.

أهداف البحث:

يهدف البحثُ إلى تحقيق عدد من الأهداف منها:

1. إبراز إيجابيات كتابات بعض المستشرقين ودعمها ونشرها.
2. إبراز النظرة العلمية المنصفة تجاه المستشرق "إسبوزيتو".
3. الاستفادة من توظيف أطروحات هذا المستشرق ومن هم على شاكلته، فيما يعود على الإسلام والمسلمين من خير وفائدة في المجتمعات الغربية.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

مما دعا الباحث لاختيار هذه الدراسة، إيمانه الكبير بأهمية هذا الموضوع لعدة أسباب، منها:

1. قلة الدراسات المتخصصة حول المستشرق "إسبوزيتو".
2. قوة تأثير المستشرق على بني جلدته أكبر من قوة تأثير المسلمين عليهم غالبًا.
3. مد جسور التعاون مع هذا الصنف من المستشرقين فيما يخدم القضايا الإسلامية من كل الجوانب.
4. العمل على تشجيع عدد من المستشرقين فيمن نحا منحى "إسبوزيتو" في التعاون مع الباحثين المسلمين.
5. إنتماء هذا المستشرق إلى المدرسة الاستشراقية الأمريكية، إضافة إلى قربه من صناع القرار والذين يقومون بدورهم في قيادة العالَم والعمل على تحقيق الإمبريالية الأمريكية.
6. نجاح المستشرق "إسبوزيتو" في توظيف نتائج منظمة جالوب[6](The Gallup Organization)، حول طرحه للقضايا الإسلامية.

([6]) هي شركة تقدم الاستشارات الإدراية والموارد البشرية والبحوث الإحصائية، كما أن لديها خبرة في مجال قياس الرأي والإحصاءات تقترب من السبعين عامًا، ولدى منظمة جالوب نظرة يعتد بها في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وقضايا الساعة،للاستزادة انظر موسوعة وكيبيديا.

حدود البحث:

يُعنى البحث بالاقتصار على تسليط الضوء على الخطاب الاستشراقي المعاصر الذي يوضح طبيعة العلاقة بين الشرق والغرب من وجهة نظره، وقد اختار الباحث المستشرق "إسبوزيتو" أنموذجا لهذه الدراسة، من خلال كتبه الثلاثة وهي:

1. التهديد الإسلامي .. خرافة أم حقيقة؟
2. من يتحدث باسم الإسلام؟
3. مستقبل الإسلام.

منهج البحث:

1. ستعتمد هذه الدراسة بإذن الله على المنهج الوصفي التحليلي بشكل عام، والذي يقوم على التسلسل المنطقي لعرض الأفكار وتحليلها. وكذلك المنهج النقدي عند الحاجة.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، ومبحثين وخاتمة تشمل النتائج ثم قائمة المراجع والفهرس.

المبحثُ الأولُ: التعريف بالمستشرق "جون إسبوزيتو".

- المطلبُ الأولُ: المستشرق "جون إسبوزيتو": حياته العلمية.

المبحثُ الثاني: المسلمون والغرب وفيه أربع مطالب:

- المطلبُ الأولُ: ملامح علاقة المسلمين بالغرب.
- المطلبُ الثاني: ماذا يريد المسلمون؟ .. "إسبوزيتو" مجيبًا.
- المطلبُ الثالث: من أنا؟.. هوية المسلمين في الغرب.
- المطلبُ الرابع: العلاج لهذه العلاقة من وجهة نظر "إسبوزيتو".

وهذا البحث هو جزء من أطروحة علمية للباحث لنيل درجة الماجستير، تحمل عنوان (دور المستشرق الأمريكي "جون إسبوزيتو" في معالجة الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين) من قسم الاستشراق بكلية الآداب بجامعة طيبة بالمدينة المنورة في مسار الدراسات الإسلامية عند المستشرقين، سائلًا المولى أن يهديني للصواب، وأن ينفع بهذا البحث وأن يجعله خالصًا لوجه الكريم وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم.

المبحثُ الأولُ: التعريف بالمستشرق "جون "إسبوزيتو":

المطلبُ الأولُ: المستشرق "جون إسبوزيتو": حياته العلمية:

ولد "إسبوزيتو" (John L. Esposito) في 19 مايو 1940م في مقاطعة بروكلين (Brooklyn) في مدينة نيويورك، ويعمل أستاذاً جامعي للديانات والشؤون الدولية، والدراسات الإسلامية، كما يعمل المدير والمؤسس لمركز الأمير الوليد بن طلال للتفاهم الإسلامي المسيحي في مدرسة "والش"[7] (Walsh) للخدمة الخارجية في جامعة جورج تاون (Georgetown) في العاصمة واشنطن.

وقد ترأس تحرير العديد من الموسوعات المتخصصة في العلوم الإسلامية، مثل موسوعة أكسفورد عن العالم الإسلامي الحديث في أربعة أجزاء، وتاريخ أكسفورد للإسلام، وقاموس أكسفورد للإسلام، والعالم الإسلامي: الماضي والحاضر، وموسوعة أكسفورد عن العالم الإسلامي، ودراسات أكسفورد الإسلامية على الانترنت.

وهو أحد كبار علماء مركز جالوب (The Gallup Organization) الذي يقوم بتحليل البيانات السائدة في دول العالم الإسلامي من خلال استطلاعات الرأي.

كما عمل "إسبوزيتو" رئيساً سابقاً لجمعية دراسات الشرق الأوسط في أمريكا الشمالية، والمجلس الأمريكي لدراسات المجتمعات الإسلامية، وعضواً في مجلس المنتدى الاقتصادي العالمي (World Economic Forum)[8]، والذي يتكون من مائة من الأعضاء القياديين، وعضو في الجامعة العليا لاتحاد الحضارات[9] في هيئة الأمم المتحدة.

([7]) تعد مدرسة إدموند إيه والش للخدمة الخارجية بجامعة جورج تاون أقدم مدرسة للشؤون الدولية في الولايات المتحدة، وقد تأسست عام 1919 قبل تأسيس الخدمة الخارجية الأمريكية بستة أعوام، وهي أيضا مدرسة رئيسة للشؤون الدولية، قام بتأسيسها الأب ادموند الويسيوس والش (Fr. Edmund Aloysius Walsh). انظر:

www.best -mastersdegree.com/الجامعات/USA/Georgetown-University-SFS-School-of-Foreign-Service

([8]) هي منظمة دولية غير ربحية مستقلة، منوطة بتطوير العالم عن طريق تشجيع الأعمال والسياسات والنواحى العلمية، وكل القادة المجتمعيين من أجل تشكيل العالمية، وأيضا الأجندات الإقليمية والصناعية، تأسست على يد أستاذ الأعمال كلاوس شواب (Klaus Martin Schwab) عام 1971م في كولوجني (Cologny) التابعة لجنيف في سويسرا، كما افتتحت في عام 2006 مكاتب إقليمية في العاصمة الصينية بكين ونيويورك في الولايات المتحدة. انظر : موسوعة ويكيبيديا.

([9]) أطلق كل من معالي رئيس وزراء الجمهورية التركية السيد: رجب طيب أردوغان، ومعالي رئيس الوزراء الإسباني السيد: خوسيه لويس رودريغيس ثاباتيرو مبادرة تحالف الحضارات في عام 2005م، بناءًا على الاقتراح الذي تقدم به السيد ثاباتيرو بهذا الشأن، وباعتماد هذه المبادرة من قبل السيد أمين عام الأمم المتحدة تحولت إلى مبادرة أممية، وتهدف هذه المبادرة إلى تكوين إرادة سياسية مشتركة، من أجل مواجهة الأحكام المسبقة، والفهم الخاطئ والاستقطاب. انظر:

www.mfa.gov.tr/medeniyetler-ittifaki-girisimi-ar.ar.mfa

وقد ترأس أيضاً اللجنة العلمية التنفيذية لمشروع بيت البحر الأبيض المتوسط –البحر المتوسط وأوروبا والإسلام–فاعلون في الحوار[10]. كما عمل أيضاً مستشارًا لوزارة الخارجية الأمريكية، والحكومات والمؤسسات ووسائل الاعلام[11].

أما عن نشاطه في التأليف فقد ألف أكثر من خمسة وثلاثين كتابًا، منها:

1. مستقبل الإسلام 2011م.
2. من يتحدث باسم الإسلام؟ (بالاشتراك مع داليا مجاهد) 2009م.
3. الحرب غير المقدسة: الإرهاب باسم الإسلام 2002م.
4. صانعو الإسلام المعاصر 2001م.
5. العالم الإسلامى المعاصر 2001م.
6. بنات إبراهيم 2001م.
7. إيران في مفترق الطرق 2001م.
8. موسوعة العالم الإسلامى المعاصر (4 أجزاء) 2001م.
9. الإسلام والعلمانية في الشرق الأوسط 2000م.
10. هل المسلمون على طريق الأمركة؟ 2000م.
11. تاريخ الإسلام 1999م.
12. الإسلام، والنوع، والتغيير الاجتماعى 1998م.
13. الإحياء الإسلامى منذ 1988 إلى 1997م.
14. الإسلام السياسى 1997م.
15. الإسلام والديموقراطية 1996م.
16. التهديد الإسلامى: حقيقة أم خرافة؟ 1992م.
17. الثورة الإيرانية: تأثيرها العالمي 1990م.
18. الإسلام في آسيا 1987م.
19. الإسلام والسياسة 1987م.
20. الإسلام: الطريق المستقيم 1988م.
21. أصوات الإسلام المنبعث (1983).
22. الإسلام في التحول 1982م.
23. النساء في قانون الأحوال الشخصية للمسلمين 1982م.
24. الإسلام والتنمية 1980م[12].

([10]) لم يستطع الباحث الوقوف على تعريف لهذا المشروع.

([11]) انظر: موسوعة وكيبيديا.

وقد ترجمت أعماله إلى 28 لغة، منها العربية والتركية والفارسية والإندونيسية والأردية والأوروبية واليابانية والصينية، كما أنه ساهم في عدد من المناظرات والمحاضرات والمؤتمرات التي تسعى إلى الحوار بين الأديان والثقافات، والتخلص من التصورات الخاطئة خاصة من قبل الغرب تجاه الإسلام، ومن أهمها مؤتمر الدوحة الخامس بقطر للأديان تحت عنوان: "القيم الروحية والسلام العالمي" في الفترة من 7-2007/5/9م، ومؤتمر: "موقفنا من الحرب ضد الإرهاب" بمؤسسة فارس للعلوم الشرق أوسطية جامعة تافتس (Tufts University) في بوسطن (Boston) والمقام في الفترة من 14-1428/10/15هـ الموافق من 25-2007/10/26هـ إضافة إلى مشاركته في حلقة: "الإسلام والولايات المتحدة والإرهاب" المقامة بمركز التفاهم الإسلامي والمسيحي بجامعة جورج تاون (Georgetown) بواشنطن في 1422هـ الموافق 2001م.[13]

أما عن مجالات التكريم التي حصل عليها، فقد حصل على جائزة القائد الأعظم الباكستانية[14]، لإسهاماته البارزة في الدراسات الإسلامية، كما منحته مدرسة الخدمة الخارجية في جامعة (جورج تاون) (Georgetown) عام 2003م جائزة الامتياز في التدريس، وحصل في عام 2005 م على جائزة الأكاديمية الأمريكية للدين[15] في موضوع الفهم العام للدين[16].

---

(1)www.ecssr.com/ECSSR/appmanager/portal/ecssr?_nfpb=true&_nfls=false&_pageLabel=profilesPage&_event=CustomEventViewPro&prfId=%2FProfile%2FProfiles_1109.xml&lang=ar

(2) www. mazinmotabagani.blogspot.com/2012/07/blog-post_1772.html

(14) هذه الجائزة التى تعد أرفع وسام وطنى فى الجمهورية الباكستانية والتي تحمل اسم مؤسس دولة باكستان مُحَمَّد علي جناح (1876-1984).

(15) هي منظمة أمريكية، نشأت فكرتها من تصور قام به البروفسور (Ismar J. Peritz)، من جامعة سيراكيوز (Syracuse) عام 1909م وذلك بتشكيل منظمة جديدة للأستاذة والعلماء، كان الغرض منه هو تحفيز المنح الدراسية والتدريس في الدين منذ تلك البدايات المبكرة منذ أكثر من 100 عام، نمت الأكاديمية الأمريكية للدين لتصبح أكبر رابطة في العالم من الأكاديميين الذين يبحثون أو يدرسون موضوعات تتعلق بالدين. للاستزادة. انظر: (www.aarweb.or).

(16) من يتحدث باسم الإسلام، مرجع سابق ، (ص: 234)، بتصرف.

المبحثُ الثاني: المسلمون والغرب:

توطئة،،،

لم تكن العلاقة بين الشرق الذي يمثل الإسلام جغرافيًا والغرب بصورة عامة علاقةً جديدةً؛ بل هي علاقة متجذرة قديمة، كما حددها الصنقري نصر بن مُحَمَّد، قائلاً: "بدأت المواجهة بين الشرق والغرب مع خروج الإسكندر الأكبر من معاقل الرومان التقليدية في البلقان صوب الشرق"[17]، وحتى أصبح الغرب بالنسبة للشرق جزء لا يتجزأ من المنظومة الحضارية.

ومن منطلق إسلامي نرى الدكتور مُحَمَّد عمارة متحدثًا بلسان المسلمين: "إن الغرب بالنسبة لنا لم يعد عاملًا خارجيًا، بل أصبح في داخلنا وثمة ألف سبب وسبب يؤكد هذا"[18]، وأحد أهم هذه الأسباب التي أدت إلى وجود علاقة متينة بين العالمين الإسلامي والغربي هو أن الحضارة الإسلامية والشرقية، أضحت من أحد أهم عوامل التأثير في الحضارة الغربية الحديثة، يقول إدوارد سعيد: "فالشرق ليس لصيقًا بأوروبا وحسب؛ بل إنه كذلك موضع أعظم مستعمرات أوروبا، وأغناها، وأقدمها؛ ومصدر حضاراتها ولغاتها، ومنافسها الثقافي [...] فالشرق جزء تكاملي من حضارة أوروبا وثقافتها الماديتين"[19].

ومن مبدأ صراع الأيدلوجيات فإن العنصرية الدينية محرك أساسي في تذبذب هذه العلاقة؛ فالمشرع واحد في كل الديانات السماوية سبحانه وتعالى، كما تجمع بينها أيضًا بعض التشريعات الأساسية في الدين مثل الصيام، كما قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[20]؛ مع اختلاف التفصيلات التشريعية بالطبع، ولكن تبقى المنافسة قائمة منذ بداية فجر الإسلام، وقد زادها حدةً وخوفًا انتشاره السريع ، إضافة إلى دخول الناس فيه أفواجًا وهذا هو التهديد الخطير بالنسبة للغرب.

([17]) الإسلام والغرب، نصر بن مُحَمَّد الصنقري، مرسى مطروح، ملاحظة: [هذا الكتاب من كتب المستودع بموقع المكتبة الشاملة]، (ص: 17).

([18]) نحن والصديق اللدود، السامرائي، نعمان عبد الرزاق، الناشر: دار الحكمة، لندن، 1417هـ، (ص: 8).

([19]) الاستشراق (المعرفة- السلطة- الإنشاء)، إدوارد سعيد، ترجمة: كمال أبو ديب، الناشر: مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة: الثامنة، 2010م ، (ص: 37).

([20]) سورة البقرة، آية: 183.

المطلبُ الأولُ: ملامح علاقة المسلمين بالغرب:

يصف "إسبوزيتو" طبيعة العلاقة بين المسلمين والغرب قائلًا: "على الرغم من أن الجذور اللاهوتية المشتركة والتفاعل على مر القرون بينهما، فإن علاقة الإسلام بالغرب تميزت غالباً بالتجاهل المتبادل، واستخدام الأنماط الشائعة، والإحتقار المتبادل والصراع"[21]. وهذا الصراع له أمثلته الكثيرة من الحروب ذات الطابع الديني الصرف من قبل المسيحيين واليهود، كالحروب الصليبية، واحتلال فلسطين، وكذلك احتلال العراق، وغزو أفغانستان من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها وعلى رأسهم المملكة المتحدة.

إن العلاقة بين الإسلام والغرب، مبينة على صورة قديمة متخيلة في العقل الغربي، يقول الدكتور محمود حمدي زقزوق: "فالصورة السائدة عن الإسلام اليوم في الغرب ليست صورة وقتية عارضة، ولا هي بُنيت اليوم، وإنما هي صورة صاغتها قرون طويلة من الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب"[22].

ويرى الباحث أن "إسبوزيتو" لم يذكر العلاقات البعيدة عن الصراعات العسكرية التقليدية؛ بل هناك فترات كان فيها تبادل تجاري وعلمي، كما أوضح ذلك ألبرت حوراني حيث قال: "لم تكن العلاقة بين المسلمين ومسيحي أوروبا علاقة حرب دائمة كما يُظن؛ أي حملات صليبية يقابلها جهاد مقدس؛ بل هناك تبادل تجاري عبر البحر الأبيض المتوسط [..] وقد كان هناك أيضًا تبادل للأفكار، وكانت هناك حركة نشطة انطلقت بشكل رئيسي من بلدان العالم الإسلامي إلى العالم المسيحي، حيث تُرجمت مؤلفات عربية عن الفلسفة والعلوم والطب إلى اللغة اللاتينية، واستُخدمت مؤلفات ابن سينا –عالم الطب الكبير– في المدارس الطبية الأروبية حتى القرن السادس عشر"[23].

لقد استنتج الباحث عدة عوامل تطرق لها "إسبوزيتو" في ثنايا حديثه، ساهمت بشكل كبير في رسم ملامح العلاقة بين الإسلام والغرب:

([21]) التهديد الإسلامي .. خرافة أم حقيقة؟، جون إسبوزيتو، ترجمة: قاسم عبده قاسم، الناشر: دار الشروق، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 2001م ، (ص: 47).

([22]) الإسلام في تصورات الغرب، محمود حمدي زقزوق، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1407هـ، (ص: 6).

([23]) الإسلام في الفكر الأروبي، ألبرت حوراني، ترجمة: أنس مكتبي، الناشر: جامعة الملك سعود، الرياض، 1431هـ، (ص: 24).

أولاً: التصورات التي زُرعت في العقل الغربي:

يقول "إسبوزيتو" واصفًا تلك التصورات ومنشؤها: انعكس تلك الخلفيات التاريخية بين المسيحية والإسلام في الأدب والفكر الغربي، وبالرغم من التبادل المعرفي البنَّاء بين المسلمين والمسيحيين، وتوسع الفتوحات الإسلامية، فقد نتج هناك عدم ثقة بالإسلام؛ لأن النظرة ما زالت له بأنه تهديد للمسيحية"، وقد نقل "إسبوزيتو" -دعمًا لفكرة الإسلاموفوبيا -عن ألبرت حوراني[24] قوله: "مايزال هو في الحاضر وعي أوروبا الغربية، وما يزال مصدر خوف، وما يزال محل سوء الفهم بصفة عامة". فالخوف والإزدراء والنظرة المركزية للعرقية الغربية، قد أنتج صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين، وحُرم العلماء من الدراسة الجادة لإسهامات الإسلام في الفكر الغربي.

وأردف موضحًا أن هذا الجهل الكبير قد عكس الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام لدى الغربيين، مما حداهم للحط من شأن الإسلام، وتم رسم صورة كاريكاتيرية عن مُحَمَّد والإسلام في صورة مشوهة، وحتى مع حركة الإصلاح الديني فلوثر مارتن وصف الإسلام بأنه حركة عنف وتطرف، واستمرت هذه الكتابات المسيئة للرسول وللإسلام على أيدي كبار الكتاب والفلاسفة، مثل رينان آرنست.

فعلى الرغم من أن كلا الديانتين تفخر بمورثها، إلا أن لغة التنافس هي اللغة السائدة، إلى درجة القتال أحيانًا، لذا الدين الإسلام مصدر تهديد للمسيحية من ناحية سياسية أو دينية، هذا مع وجود النظرة التفوقية لدى الأوروبيين[25].

وهذا ما يجعل قادة الحضارة الغربية على خوف دائم من قيام أية محاولة حضارية، فقد بين جعفر شيخ إدريس ذلك الخوف في قوله: "فقادة الحضارة الغربية يخشون على حضارتهم من كل بادرة إحياء لتلك الحضارة التي كانت سائدة، ومما يزيد من خوفهم قول المختصين منهم في التاريخ الإسلامي، إن للإسلام مقدرة عجيبة على العودة كلما هُزم"[26].

([24]) هو مؤرخ إنكليزي من أصل لبناني متخصص في تاريخ العرب والشرق الأوسط، للاستزادة. موسوعة وكيبيديا.

([25]) التهديد الإسلامي حقيقة أم خرافة؟، مرجع سابق، (ص: 70-72)، بتصرف.

([26]) صراع الحضارات بين عولمة غربية وبعث إسلامي، جعفر شيخ إدريس، الناشر: مجلة البيان، الطبعة: الأولى، 1433هـ ، (ص: 47).

ويقول صموئيل هنتغتون: "الإسلام هو الحضارة الوحيدة التي جعلت بقاء الغرب موضع شك، وقد فعل ذلك مرتين على الأقل"[27].

ثانياً: الإمبريالية الأوروبية:

هناك موضوعان رئيسيان يحكمان العالَم الإسلامي في النصف الأول من القرن العشرين –على حد قول إسبوزيتو– هما الإمبريالية الأوروبية، والنضال من أجل حركات الاستقلال، فهما يؤثران على المدى البعيد في العلاقة بين الإسلام والغرب.

فقد اتجهت النخب الإسلامية السياسية إلى العلمانية بعد أن نالت استقلالها، مما أثر على الهوية الوطنية والإسلامية، ما جعل السيادة الغربية تُعتبر لدى المسلمين تهديدًا مستمرًا؛ لأنها هي من رسمت خريطة العالم الإسلامي، وهي من تختار الحكام الذين بالطبع يكونون تحت سيطرتهم، وفي المقابل صورة الإسلام التي دائمًا ما تكون حاضرة باعتباره تهديدًا للغرب ومصدرًا للتخلف والرجعية أيضا. وهذا ما قاله كرومر في وصفه للدين الإسلامي بأنه ديانة توحيدية نبيلة، ولكنه نظام سياسي فاشل لا يراعي حقوق المرأة والمساواة[28].

هذا وقد وصف كرومر الرجل الشرقي في قوله: "وأنا أقنع بالإشارة إلى أن الشرقي بصفة عامة، وبأسلوب ما، يعمل ويتكلم ويفكر بطرائق مضادة للأوربي"[29].

لقد ساهم بشكل كبير في تحقيق الإمبريالية الأروربية، وتجذير الصور التي غرست في العقل الإروبي حول الدين الإسلامي أمران اثنان، كان الانسجام والتنسيق التام بين الأهداف والوسائل فيهما واضحًا جدًا، يقول إدوارد سعيد: "برز منذ القرن الثامن عشر عنصران رئيسيان في العلاقة بين الشرق والغرب، أما الأول فهو نمو المعرفة المنهجية

([27]) بابا الفاتيكان في الميزان، جمعه وأعده: علي بن نايف الشحود، ملاحظة: [هذا الكتاب من كتب المستودع بموقع المكتبة الشاملة]، (ص: 21/2).

([28]) التهديد الإسلامي حقيقة أم خرافة؟، مرجع سابق، (ص: 73-75)، بتصرف.

([29]) الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، إدوارد سعيد، ترجمة: محمد عناني، الناشر: رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م، (ص: 95).

عن الشرق في أوروبا، وهي المعرفة التي دعمها التلاقي الإستعماري، إلى جانب انتشار الاهتمام بما هو أجنبي وغير مألوف"[30]، ويمكننا وضعهما في قسمين رئيسين هما:

1. الإستشرق: عند النظر في جهود الترجمة، نجد: "ثمة فرق بين ترجمة العلوم الإسلامية إلى اللاتينية أثناء الحروب الصليبية وبعدها، وبين دراسة العالم الإسلامي والتعرف على تراثه وخصائصه وطرق تفكيره وكنوزه ومواطن قوته وضعفه في هذه المرحلة"[31].

فمثلًا عند المستشرق سنوك نجد أن دراسة الشرق الإسلامي –حسب تعبير إدوارد سعيد–إما أن تزيد أو تُعمق الخلاف الذي بواسطته تستطيع السياسة الأوربية أن تتوسع في آسيا الإسلامية[32].

2. الإستعمار: جاء في كتاب (ثورة العرب الكبرى): "كان فيها –أي المرحلة الإستعمارية–هذا الانفتاح على عوالم الإسلام ودراسته، من أجل تعديل حضاري وسياسي في المنطقة الإسلامية نفسها بما يخدم أوروبا ذاتها"[33]، وقال نابيلون بونابرت: "إن أوروبا وكر فأر وليس ثمة إمبراطورية عظيمة إلا في الشرق"[34].

هذا وقد "رفع لورانس تقريرًا إلى المخابرات البريطانية عام 1916م جاء فيه: أهدافنا الرئيسية هي تفتيت الوحدة الإسلامية، ودحر الإمبراطورية العثمانية وتدميرها، وإذا عرفنا كيف نعامل العرب، وهم الأقل وعياً للاستقرار من الأتراك، فسيبقون في دوامة من الفوضى السياسية، داخل دويلات صغيرة حاقدة ومتنافرة، غير قابلة للتماسك"[35].

([30]) الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، مرجع سابق، (ص: 96).

([31]) الإسلام والغرب، مرجع سابق، (ص: 28).

([32]) الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، مُحَمَّد عبد الله الشرقاوي، الناشر: دار البشير، مصر، 1437هـ، (ص: 39)، بتصرف.

([33]) الإسلام والغرب، مرجع سابق، (ص: 28).

([34]) ثورة العرب الكبرى 1916، بقلم أحد أعضاء الجمعيات العربية، الناشر: كتاب الرائد العربي، حماة، 1916م، (ص: 5).

([35]) نحن والصديق اللدود، مرجع سابق، (ص: 111).

ثالثًا: التعصب الديني:

يقول "إسبوزيتو": "كلٌ من الإسلام والمسيحية يمتلك شعوراً برسالة ومهمة عالمية كان محتملًا أن تؤدي إلى المواجهة بدلًا من التعاون بينهما بالنظر إلى أحداث الماضي"[36]. وقد كان هذا الشعور سببًا في جعل العلاقة تتجه نحو السلبية، مع أن الدين الإسلامي دين يحترم الديانات الأخرى ومتسامح معها، هذا غير جهل المسيحية بالدين الإسلامي، ورؤية الغرب للإسلام بنظرة غير صحيحة كانت سببًا لهذا الشعور، إضافة إلى رفض المسلمين للتعاليم المسيحية، لأن الإسلام عند المسلمين يمحو ما قبله من الديانات.

كما أن الدين يمثل عند كلا الفريقين هوية لا يمكن أن يستغني أي منهما عنه، وهنا النتيجة تظهر، حيث قال المسيري: "وبهذا – أي الخلاف بين الديانتين- تحولت الرقعة الدينية المشتركة إلى مصدر توتر ونزاع، بدلًا من أن تشكل نقطة انطلاق للحوار بيننا وبين الغرب"[37].

وقد أضاف "إسبوزيتو" قائلًا: "إن التشابهات اللاهوتية بين الإسلام والمسيحية وضعت الديانتين على طريق الصدام"[38]، وهنا نرى أن "إسبوزيتو" جانب الصواب باتهامه للإسلام بأنه دين تصادم؛ بل على العكس تمامًا، فهو دين يدعو إلى الحوار فالله سبحانه يقول: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[39].

والذي يظهر للباحث أن هناك سبب لا يقل أهمية عن التشابه اللاهوتي في حتمية الصراع، وهو البحث عن المصالح الغربية على حساب المسلمين، يقول المسيري: "فالنزاع بيننا وبين العالم الغربي على الموارد وعلى الأرض له امتداد تاريخي، وقد وصل هذا النزاع إلى ذروته بعد أن اقتسمت الدول الإمبريالية الغربية العالَمَ الإسلامي"[40].

([36]) التهديد الإسلامي حقيقة أم خرافة؟، مرجع سابق، (ص: 47).

([37]) حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري، تحرير: سوزان حرفي، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة: 6، 2017م، (ص: 38)، (ص: 24)، بتصرف.

([38]) التهديد الإسلامي حقيقة أم خرافة؟، مرجع سابق، (ص: 60).

([39]) سورة آل عمران، آية: 164.

([40]) حوارات الدكتور المسيري، (ص: 22).

رابعًا: سرعة انتشار الإسلام:

إن سرعة انتشار الإسلام تمثل تهديدًا للغرب، فقد قال "إسبوزيتو" في كتابه التهديد الإسلامي حقيقة أم خرافة؟: "كان الصعود والتوسع السريع للإمبراطورية الإسلامية وازدهار الحضارة الإسلامية قد فرضة خطرًا مباشرًا على مكانة العالم المسيحي في العالَم من الناحية اللاهوتية والسياسية على سواء، وكما لا حظ مكسيم رودنسون "كان المسلمون تهديدًا للمسيحة الغربية قبل أن يصبحوا مشكلة بزمن طويل" [41].

وقد نقل أحمد غراب عن المستشرق ولفرد كانتول سميث قوله: "وكان التهديد الإسلامي موجهًا بقوة وعنف، وكان ناجحًا مكتسحًا نصف العالم المسيحي تقريبًا، والإسلام هو القوة الإيجابية الوحيدة التي انتزعت من المسيحيين أناسًا دخلوا في الدين الجديد، وآمنوا به بعشرات الملايين"[42].

فمثلًا هناك إحصائيات لمركز بيو للأبحاث تتنبأ بنمو كبير للمسلمين في أوروبا بسبب الهجرة والإرهاب؛ فقد كان يقدر عدد المسلمون في أوروبا عام 2010م بـ (3.8%) أي 19.5 مليون مسلم، وبحلول عام 2016م وصل عدد المسلمين إلى 25.8 مليون أي وصلة نسبتهم من سكان أوروبا إلى (4.9%)، ومن المتوقع أيضًا في حلول عام 2050م ستصل نسبة المسلمين إلى (7.4%) حتى لو توقفت الهجرة؛ بسبب أن متوسط أعمار المسلمين 13 سنة وهم أصغر بكثير من الأروبيين، إضافة إلى أن لديهم نسبة خصوبة أكثر بكثير من الأوروبيين، بل هناك توقعات تقول أن النسبة ستصل إلى (14%) بحلول 2050م[43].

إن النظرة للإسلام بأنه تهديد للمسيحية بسبب انتشاره لم تكن جديدة أو منصفة؛ بل ويصفها "إسبوزيتو" بقوله: "لقد شكل نجاح الإسلام وتوسعه الباكر تحديًا على المستوى اللاهوتي، والسياسي والثقافي أثبت أنه عقبة كئود في سبيل الفهم، كما شكل تهديدًا للغرب المسيحي"[44].

وهنا نلاحظ اتهام "إسبوزيتو" للإسلام بأنه عقبة كئود في سبيل الفهم، وهو متخصص في علوم الدين الإسلامي، دون ترو أو ذكر دليل علمي يستند عليه أو توضيح العبارة للقارئ خطأ منهجي.

([41]) التهديد الإسلامي حقيقة أم خرافة؟، مرجع سابق، (ص: 60).

([42]) رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد عبد الحميد غراب، الناشر: المنتدى الإسلامي، الطبعة: الثانية: 1411هـ، (ص: 24).

(5) www.pewforum.org/2017/11/29/europes-growing-muslim-population

([44]) التهديد الإسلامي حقيقة أم خرافة؟، مرجع سابق، (ص: 47).

هذا وقد أورد الدكتور مُحَمَّد عبد الله الشرقاوي ما قاله المستشرق اليهودي برنارد لويس: "يجب أن يكون واضًحا الآن أننا نواجه تيارًا وحركة تتجاوز بكثير مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تلاحقها. إن هذا الشيء ليس أقل من صراع الحضارات، إنه رد فعل غير عقلاني، لكنه تاريخي لمنافس قديم موجه ضد ميراثنا اليهودي-المسيحي وضد حاضرنا الراهن، وضد امتدادهما العالمي"[45].

إن هذه النظرة الغربية تجاه الدين الإسلامي شكلت هاجس في العقل الغربي، وهو تحويل القارة الأروبية إلى قارة مسلمة.

خامسًا: الجهل الغربي بالإسلام :

إن جهل الشعب الأمريكي بالإسلام خير مثال على رسم ملامح العلاقة بين الإسلام والغرب، يقول "إسبوزيتو": "فإنه على الرغم من قلق الأمريكيين بعد أحداث 11 سبتمبر، وحقيقة أن المسلمين جزء لا يتجزأ من من المجتمع الأمريكي، فقد اعترف ما يقارب من ثلثي الأمريكيين أنهم لا يعرفون حتى المفاهيم الأساسية عن الإسلام"[46].

وفي كلام للمسيري حول جهل الشعب الأمريكي بالإسلام، قال مبينًا سبب هذا الجهل: "إنجلترا وفرنسا لديهما إدراك لتنوع الشعوب نابع من تجربتهما الاستعمارية، بينما يلاحظ أن الولايات المتحدة ليس لديها مثل هذه التجربة، ولعل عزلتها الجغرافية حجبت عنها الرؤية الإدراكية المركبة للعديد من مناطق العالم"[47].

ومن مبدأ الوطن الواحد تحدث "إسبوزيتو" عن علاقة الأمريكي المسيحي بجاره المسلم، حيث قال: "ففي القرن الواحد والعشرين ترك الغرب رؤية جيرانهم من المسلمين على أنهم دخلاء أو مرعبين"آخرين"، ولم يعد ذلك حاجزًا بعد الآن نظرًا للحضور المؤثر للمسلمين في أوروبا وأمريكا، كما تتنبأ الإحصاءات السكانية بإمكانية أن يصبح الإسلام ثاني أكبر ديانة في أمريكا"[48].

([45]) الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للاسلام، مرجع سابق، (ص: 40).

([46]) مستقبل الإسلام،جون إسبوزيتو، ترجمة: دار النشر للجامعات، الناشر: دار النشر للجامعات، القاهرة، الطبعة: الأولى، 2011م. (ص: 60).

([47]) حورات الدكتور عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق، (ص: 21).

([48]) مستقبل الإسلام، مرجع سابق، (ص: 61).

وهذا يبين التطور الحاصل في العلاقة بينهما منذ عهد الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون الذي قال عن المسلمين: "ليس هنالك من شعب له صورة سلبية عند الأمريكيين بالقدر الذي للعالم الإسلامي"[49].

سادسًا: خطاب الكراهية:

لقد بين "إسبوزيتو" أن هناك دعاة للكراهية من المسيحين والمسلمين ولكن دون عنف، بيد أنه لا يمكن لنا أن نتغافل عن تأثيرها في العلاقة بين الإسلام والغرب، وذلك من خلال الخطابات الصريحة في الكره الشديد للإسلام وأهله، وقد ضرب "إسبوزيتو" أمثلة لهؤلاء الدعاة، فعلى الجانب المسيحي ذكر: جيري فالويل، بارت بروبرتسون، رود بارسلي وجون هاجي، وتكمن أهميتهم في القرب من إدارة جورج بوش وأعضاء الكونجرس.

ففرانك جراهام والذي قال بعد مباركته لخطاب بوش الافتتاحي بعد توليه مقاليد الحكم الأمريكي: "لقد هاجمنا الإسلام، ورب الإسلام ليس هو ربنا؛ فالإسلام دين في غاية الشر والدناءة"، وزاد على ذلك زعيم التيار الديني بارت بروبرتسون قائلًا: "هذا الرجل (مُحَمَّد) كان متعصبًا تعصبًا أعمى لصًا قاطع طريق قاتلًا".

ومن أمثلة الكراهة التي يبثها الإعلام المرئي ما قاله جيري فالويل مؤسس حركة مورال ماجورتي ورئيس جامعة ليبرتي، في برنامج 60 دقيقة، حيث قال: "إن هناك خطوطًا واضحة مرسومة"، وجاء هذا في رده على بوب سايمون حين قال: "يشعر العديد من المسلمين الآن أن المسيحيين واليهود يتحدثون ويكونون جماعات في مواجهتهم"، ورد فالويل قائلًا: "أنا آسف ولكنه حقيقي"، وكذلك وصفه للرسول بالارهابي على قناة برايم.

وهناك إعلامي لامع اسمه بيني هين المعروف بانتمائه الإسرائيلي، يقول معبرًا عن رأيه حول قضية الكراهية تجاه المسلمين: "هذه ليست حربًا بين العرب واليهود، بل حربًا بين الله وإبليس".

ومع أن هؤلاء قلة –على حد قول-"إسبوزيتو" إلا أن تأثيرهم كبير على عامة المسيحيين البروستانت لحضورهم الإعلامي القوي.

وفي المقابل هناك جهات ومنظمات ترفض هذا الخطاب الداعي للكره وإقصاء المسلمين من قبل الصهيونية المسيحية، مثل: الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في الأردن، والكنيسة الأسقفية في القدس، وغيرها الكثير، وقامت العديد من الكنائس بإصدار بيانات تندد الدعوة إلى الكراهية تجاه المسلمين؛ خوفًا من أنها ستكون عائقًا أمام تحقيق سلام عادل بين الفلسطينيين والإسرائيليين[50].

([49]) الشرق والغرب المحددات والمؤثرات، علي بن إبراهيم الحمد النملة، ملاحظة: [هذا الكتاب من كتب المستودع بموقع المكتبة الشاملة]، (ص: 7).

([50]) مستقبل الإسلام، مرجع سابق، (ص: 208)، بتصرف.

والذي يظهر للباحث أن خطابات الكراهية لم تكن جديدة؛ بل هي متجذرة في العقل الغربي، كما صرح بذلك مسؤول في وزارة الخارجية الفرنسية عام 1952م عندما قال: "إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديدًا مباشرًا عنيفًا هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يمكلون تراثهم الروحي الخاص ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة"[51]. بخلاف العقل الإسلامي فعند العودة إلى الجذور لا يوجد نص شرعي واحد يدعو إلى الكراهة والعنف.

تقول المستشرقة الأمريكية المعاصرة (Margaret Marcus): "إن العالم الغربي مستمر في حرب الإسلام بأكثر الأسلحة تطورًا، وعلى مستوى متقدم من الأستاذية، إذ يوجد ما لا يقل عن ثماني مجلات دورية أمريكية وأروبية مكرسة كليا لذلك، وثنتان مخصصتان بصورة جزئية للهجوم على الإسلام"[52].

وفي معرض حديث "إسبوزيتو" عن نصيب المسلمين في خطاب الكراهية أوضح أن التحدي يكمن في التعرف عليهم، ما بين من يدعو من المتشددين منهم إلى الكراهية لغير المسلمين بدون عنف، وممن يدعو إلى فكر متطرف وعمليات إرهابية منظمة.

كما أن هناك –على حد قول إسبوزيتو- من يمثل الجانب الآرذوكسي في الإسلام، مثل السلفيون والوهابيون الذين يتميزون بالجمود ونبذ الآخر، واتهام الآخرين بأنهم على خطأ وهم على الحق دائمًا، ولكن يبقى هؤلاء المتطرفون هم الأقلية في المجتمعات الإسلامية، ومع ذلك فخطرهم كبير قائم على مستوى كبير بين الشعوب[53].

والذي يظهر للباحث أن تعميم "إسبوزيتو" في تشبيهه للسلفيين والوهابيين بالآرثوذكس مجانب للصحة؛ لسبب اختلاف مرجعيات الوهابية والسلفية من الجانب الإسلامي، ومرجعيات الأرثودكس من الجانب المسيحي، فالأرثوذكسية تختص بخصاصيتين: "الأولى أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كنيسة شديدة المحافظة والاستمساك

([51]) معالم تاريخ الإسلام المعاصر، أنور الجندي، الناشر: دار الاعتصام، القاهرة، (ص: 117).

([52]) الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، مرجع سابق، (ص: 98).

([53]) انظر. مستقبل الإسلام، مرجع سابق، (ص: 209-210).

بالتعليم المسيحي القديم والتقليد الرسولى الأول [..] والثانية أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كنيسة روحانية عميقة، أو هي كنيسة صوفية باطنية جوانية"[54].

أما في الجانب الإسلامي فالوهابية والسلفية لها مصدر واحد هو التعاليم الإسلامية، التي جاء بها الرسول ﷺ مع منهج الاعتدال والتوسط، وكل من يخالف منهج الوسطية لا يمثل إلا نفسه ،كما أن الدعوة الوهابية والسلفية ليست دعوة صوفية باطنية كما هي العقيدة الأرثوذكسية.

وبالنسبة لحكمه على الوهابية والسلفية بالجمود ونبذ الآخرين فهذا حكم جائر أيضًا؛ فالوهابية مثلًا التي ترمز إلى دعوة –حسب تعبيرهم– الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب، الذي ذكر عنه المؤرخون غير ذلك، مثل ماقاله عبد المتعال الصعيدي في كتابه (المجددون في الإسلام): "ولم يقع في ذلك الجمود والركود الذي وقع فيه علماء عصره حتى ألفوا فيه من البدع وأخذوها على أنّها أصول الدين وأركانه"[55].

كما أوضح أحمد بن عبد الغفور في كتابه (مُحَمَّد بن عبد الوهاب) نبذ مؤسس الوهابية للجمود والتقليد عندما قال: "كان مُحَمَّد بن عبد الوهاب الشاب الناهض من أكبر أنصار الحرية الفكرية، المتمشي على نهج الإسلام، يدعو إليها في إخلاصٍ وحماسةٍ واستطاع أن يتحرر من قيود البيئة، ويخرج على تقاليد قومه البالية، فثار ثورته المشهورة على الجمود والتأخر، وحاربهما حرباً ضروساً قاسيةً، سائراً في كلّ شؤونه على الطريقة العلميّة والنّقد العلميّ النزيه"[56].

إن خطاب الكراهية من الجانب الإسلامي ينافي التعاليم التي نادى بها الرسول ﷺ، فبالنظر إلى مخاطباته ﷺ إلى الملوك كانت في غاية الرقي والحرص على هداية الناس لا تخويفهم، فمثلًا في دعوته هرقل، قال مكاتبًا: "بسم الله الرحمن الرحيم من مُحَمَّد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا

([54]) دعوة الحق بين المسيحية والإسلام، القاضي منصور حسين عبد العزيز، (409/1)، ملاحظة: [هذا الكتاب من كتب المستودع بموقع المكتبة الشاملة].

([55]) الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب، محمود مهدي الإستانبولي (ت: 1420هـ)، طبعة: 1400هـ، (ص: 10).

([56])الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب، مرجع سابق ، (ص: 11).

اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ[57]﴾[58]،وفي إنزاله للناس منازلهم كتب إلى الموقوقس قائلًا: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من مُحَمَّد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم القبط"[59].

وخطابات الكراهية ليس بشيء من الدين الإسلامي، فهي عند قلة من المسلمين، والواحد منهم لا يمثل سوى نفسه، وهذه الدعوات التي ينادي بها أصحاب الفكر المتطرف ناتجة عن أمرين: الجهل الكبير بتعاليم الدين الإسلامي في التعامل مع غير المسلمين، والمصالح الشخصية الناتجة عن أجندة ذات مستوى دولٍ عالٍ، يقول "إسبوزيتو": "إن الخلاف الحقيقي بين أولئك الذين يؤيدون الأعمال الإرهابية وبين الآخرين جميعًا هو حول السياسة لا التقوى"[60]، بينما خطاب الكراهية عند الغرب يمثل شريحة كبيرة مؤثرة على مستوى الشعب والسياسة.

كما جاء في القرآن الكريم أدلة على سماحة الدين الإسلامي، فمثلًا في معاملة المسلمين لغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، فقال الله: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[61]، وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: "ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته،أو أخذ شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة".

([57]) سورة آل عمران، آية: 64.

([58]) زاد المعاد في هدي خير العباد، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت –مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، 1415هـ، (ص: 600/1).

([59]) زاد المعاد في هدي خير العباد، مرجع سابق، (ص: 603/1).

([60]) انظر، من يتحدث باسم الإسلام؟، مرجع سابق، (ص: 114).

([61]) سورة الممتحنة، آية: 8.

المطلبُ الثاني: ماذا يريد المسلمون؟ .. "إسبوزيتو" مجيبًا:

فبعد وجود هذه الهوة بين الإسلام والغرب، وهذه العوامل التي ساهمت في تشكيل ملامح العلاقة بينهما، هاهو "إسبوزيتو" يلمس طموحات المسلمين في هذا المطلب.

يقول "إسبوزيتو" في استطلاعات جالوب عند السؤال عن أحلام الناس وآمالهم :"ذكر كثيرون من المشاركين الشؤون الاقتصادية في المحل الأول [..] يعقب هذه المسائل الحاجة إلى تحسين النظام والقانون، وإزالة التوترات المدنية والحروب ونشر المثل الديمقراطية في أنظمتهم السياسية، وكذلك تحسن مكانة بلادهم العالمية واستقلالهم، حتى يكتسوا مزيدًا من احترام الآخرين، ويوقفوا التدخل الخارجي، وتشمل الأولويات الداخلية في الوقت نفسه- تيسير أنظم تعليمية أفضل لاستئصال الجهل والأمية، وتحقيق المساواة بين الجنسين، والعدالة الاجتماعية، والحرية الدينية"[(62)].

وفي نتيجة توصل إليها "اسبوزيتو" في كتابه (مستقبل الإسلام) من خلال استطلاعات جالوب أيضًا، توضح ما يريده المسلمون وأن احتياجاتهم مثل باقي الشعوب بعيدًا عن الإهاب والعنف العالميين، حيث قال: "جاءت إجابات المسلمين من خلال استطلاعات رأي جالوب بشأن أهم أولوياتهم؛ لتظهر كيف أننا نفكر بطريقة واحدة، فآمال ومخاوف مليار مسلم تتجاوز الاختلافات الدينية والثقافية وتكشف قيمنا ومواقفنا المشتركة"[(63)].

كما جاء في صحيفة الرياض السعودية في عددها رقم 13679 الصادر في 4 ذي القعدة 1426هـ الموافق 6 ديسمبر 2005م – في لقاءاتها الصحفية حول طموحات الشعوب المسلمة، والمتزامنة مع فعاليات القمة الإسلامية الاستثنائية بمكة المكرمة، التي دعا إليها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز -رحمه الله-، فقد كانت إجابات من تم اللقاء معهم وهم من جنسيات مختلفة، تدور حول طموحاتهم السياسية والاقتصادية والدينية، وأن يعم السلام على كافة الدول الإسلامية، وتتحسن الأوضاع المعيشية لكافة الشعوب الإسلامية.

وتأتي هذه المطالبات في ظل غياب الدور الغربي الإنساني الذي تدعيه الدول الغربية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية والتي قامت مؤخرًا بفرض حظر السفر على سبعة دول إسلامية ولحقتها في ذلك القرار بريطانيا، ناهيك عن انتهاك الحريات المدنية للمسلمين، والتي أوردها "إسبوزيتو" في كتابه (مستقبل الإسلام) مثل: التجسس

([62]) من يتحدث باسم الإسلام؟، مرجع سابق، (ص:73-74).

([63]) مستقبل الإسلام، مرجع سابق، ص: 83).

على الأمريكيين المسلمين دون سبب منطقي، وبطريقة مخالفة للقانون، واتهامهم لأعداد كبيرة من المسلمين في أمريكا بالإرهاب، مما أجج مشاعر الخوف لدى المسلمين. اتهامهم بأن 80% من المساجد في أمريكا تدعم الإرهاب، إضافة إلى نظرتهم إلى قانون فرنسا بمنع الحجاب في المدارس على أنه نمو لسياسة الاستيعاب وغيرها الكثير والكثير[64].

ويبقى السبب الرئيسي في معاناة المسلمين مع الغرب هو المشكلة الأزلية، والتي تكمن في كيفية إزالة الصورة النمطية السلبية عن الإسلام من أذهانهم؟!.

([64]) لقد تحدث الباحث بشئ من الإسهاب حول هذه الانتهاكات في المبحث الثاني من أطروحة الماجستير الموسومة ب "دور المستشرق الأمريكي جون إسبوزيتو في معالجة الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين".

المطلبُ الثالث: من أنا؟..هوية المسلمين في الغرب[65]:

لم يكن وجود المسلمين في الغرب بمحض الصدفة بالطبع، وإنما كان نتيجة لعوامل متراكمة يصعب عليهم وعلى المجتمع الغربي أن يكونوا جزءًا منفصلًا عنه، ولكن تبقى للأحداث الأخيرة والتغيرات العالمية وفي طليعتها أحداث الحادي عشر من سبتمبر الأثر الكبير عليهم في المجتمعات الغربية؛ مما جعل المسلمين يعيشون بشيء من الغربة وفي قفص الإتهام ووسمهم بالآخر.

يقول "إسبوزيتو": "إن صفة (الغربة) والإرهاب مستمرة في تلطيخ المسلمين على أنهم (الآخرون)"، وذلك كما قالت هادية مبارك، وهي أول امرأة يتم انتخابها كرئيس للرابطة الوطينة للطلبة المسلمين: أن سبب الغربة التي يعاني منها المسلمون الأمريكيون في وطنهم هو النظرة الاستشراقية المتجذرة، حيث قالت:"مازال الإسلام يساوي ثقافة دخيلة [..] فكيف يكون إظهارنا الالتزام بالإسلام جزء لا يتجزأ من هويتنا الأمريكية؟ كيف يستطيع المسلمون تأدية العبادات ولبس أغطية الرأس، وأخذ إجازة في الظهر من العمل لحضور صلاة الجماعة يوم الجمعة، وبناء المساجد، وما إلى ذلك لا يقلل من وطنيتنا وفخرنا من كوننا أمريكيين"[66].

ثم ضرب "إسبوزيتو" عدة أمثلة للانتهاكات الغربية للمسلمين في الغرب، والتي حذرت منها المنظمات الحقوقية مثل التمييز العنصري، والإعتقالات غير القانونية، والمراقبة والتنصت على المسلمين، إلى جانب المراقبة العشوائية للمساجد، وهذه الانتهاكات قد حذر منها القادة المسلمون في الغرب والتي لا تؤثر فقط على الإرهابيين وإنما حتى المسلمين أنفسهم، والتي بدورها ساهمت في تنامي الإسلاموفوبيا بين الغربيين مما زاد من حدة الكراهية تجاه المسلمين[67].

ويقول "إسبوزيتو" أيضًا في وضع المسلمين في ألمانيا: "إن أغلبية المسلمين في ألمانيا، حوالي 80% منهم، لا يتمتعون بحقوق المواطنة الألمانية، وبالتالي ليس لهم حق التصويت أو المشاركة في المناخ السياسي-الذي هو القاعدة للاندماج الحقيقي في المجتمع الألماني"[68].

([65]) هذا العنوان أورده "إسبوزيتو" دون تصرف من الباحث، في كتابه مستقبل الإسلام، (ص: 45).

([66]) مستقل الإسلام، مرجع سابق، (ص: 45-46).

([67]) مستقبل الإسلام، مرجع سابق، (ص: 202).

([68]) مستقبل الإسلام، مرجع سابق، (ص: 203).

كما جاء في كتاب المسلمون في الغرب، الصادر عن مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية، عن أن أحد أهم التحديات التي تواجه المسلمين في الغرب: هي صعوبة الاندماج والتي تعود لسببين: "الأول: تصاعد شعار الدمج القسري للأجانب، نتيجة الخوف من افتقاد تجانسهم العرقي والديني، الأمر الذي يهدد بإلغاء خصوصية المسلمين المقيمين في تلك المجتمعات.

الثاني: ظهور نزعات التطرف العنصري في أوروبا بشكل كبير في الفترة الأخيرة، وصعود أحزاب اليمين التي ترفض الاعتراف بالمجموعات العرقية، ومن بينها الجالية الإسلامية، وتصر على ضرورة أن يتشرب المهاجرون الثقافة الغربية، بل إنها وفي أحيان كثيرة تهدد بطردها من البلاد"[69].

يقول "إسبوزيتو" معلقًا عن حال المسلمين في الغرب: "هؤلاء الذين يصارعون لفعل ذلك في الثقافات الأمريكية والأوربية والبيئات السياسية، دائمًا ما يشعرون أنهم أغراب في مجتمعاتهم الغربية، ويعتقدون أنهم يجب أن يتنازلوا عن هويتهم ليتم قبولهم، مما يشجع البعض لمقاومة اندماجهم داخل المجتمع؛ مخافة أن يصبحوا غربيين جداً، ويفقدوا تميزهم كثقافة فريدة وعقيدة دينية مميزة، فليس الغربيون فقط ولكن المسلمون أيضًا تساءلوا: هل هم مسلمون في أمريكا أم أمريكيون مسلمون؟ وهل هم مسلمون صودفوا أنهم يعيشون في أوروبا أم أوربيون مسلمون؟"[70].

سيعيش المسلمون تحديًا كبيرًا في مجتمعاتهم الغربية كما أوضح ذلك "إسبوزيتو" يكمن هذا التحدي في المزج بين الهوية الإسلامية والحفاظ عليها، وبين مجتمع جاهل بالإسلام ومتمسك بهويته الأروبية المبينة على الديانية اليهودية المسيحية، فالعيش كأقلية مسلمة في مجتمع غير مسلم يجعل هناك صعوبة في الإندماج من قبل المسلمين، فهم يقارنون بين القيم الإسلامية والثقافة الغربية العلمانية أو المسيحية.

ولكن ظهرت –على حد قول "إسبوزيتو"–استجابتان واسعتان: الأولى كانت تدعو إلى عدم الاندماج في المجتمعات الغربية، والدعوة إلى خلق مجتمعات ذات أقلية منفصلة عن المجتمع الغربي، مع البحث عن أسلمة الغرب، مع رفضهم لنظم السياسات الغربية وتكون معتمدة اعتمادًا كليًا على الدول الإسلامية خارج حدود الغرب، والذي ينتج عن هذا مع عجز القيادات غير المؤهلة في التعايش مع المجتمعات الغربية زيادة عقلية الأقلية الثقافية.

تقول هادية مبارك: "في السنوات الثمان الماضية أدرك المسلمون الأمريكيون أنهم لا يستطيعون تحمل حياتهم في عزلة اجتماعية، دون الاهتمام برفاهية مجتمعاتهم، أو الصورة العامة للإسلام، فبينما يواجهون المشكلات نفسها

([69]) المسلمون في الغرب.. بريطانيا دراسة حالة، الناشر: مركز الخليج للدرسات الاستراتيجية، 2004م، (ص: 28).

([70]) مستقبل الإسلام، مرجع سابق، (ص: 46).

لكونهم جميعًا أمريكيين يدفعون الرهن العقاري ويرسلون أبناءهم إلى الجامعة، بالإضافة إلى مواجهة المشاعر المتزايدة المعادية للاسلام"، أما الاستجابة الثانية فكانت في السؤال الحائر –على حد قول "إسبوزيتو"–هل نحن أمريكيون مسلمون؟ أم مسلمون أمريكيون؟ وهؤلاء يمثلون غالبية المسلمون في أمريكا، فكون لهم مجتمعهم الصغير لا يلغي تعايشهم مع المجتمع الأمريكي وفق المصالح المشتركة، فلقد توصل لويس لوجو إلى أن الأمريكين المسلمين مثلهم مثل باقي الناس في البلد لا يرون تعارضًا بين كونهم مسلمين مخلصين وبين العيش قي مجتمع حديث"[71].

يقول صاحب كتاب المسلمون في الغرب .. بين تناقضات الواقع وتحديات المستقبل، عن الحل الأنسب حول هذه المعضلة، بعد أن بيّن أن أغلب المسلمين الذين يعيشون في الغرب بين خيارين أحلاهما مر، هو الإندماج أو الإحجام: "باستثناء قلة قليلة استطاعت أن تشكل رؤية ثالثة: تستوحي التماس خطوط التماس الايجابية، التي تحجبها أحكام القيم التي يكونها كل طرف عن الآخر، حيث بالاستناد إلى تلك التماسات أو القواسم المشتركة يمكن التوصل إلى صياغة ثقافة مشتركة بين الطرفين، ثقافة مبنية على قيم انسانية ينتفي معها التعصب الديني أو الأيدلوجي، ثقافة مسكونة بهموم الانسان النفسية والاجتماعية والثقافية، وهي هموم تتخطى كل الحواجر الإثنية والعرقية والأيدلوجية وغير ذلك"[72].

إن قراءة الواقع من قبل المسلمين قراءة واعية مبنية على المصالح المشتركة، والإحترام المتبادل، والتعايش السلمي مع مجتمعاتهم الغربية، مع حفاظهم على هويتهم الدينية، أمر في غاية الأهمية، بل وسيساهم بشكل كبير في إعادة رسم ملامح العلاقة بين الإسلام والغرب بشكل أفضل، ويأخذ بها إلى بر الأمان.

([71]) انظر. مستقبل الإسلام، مرجع سابق، (ص: 47-48)، بتصرف

([72]) المسلمون في الغرب .. بين تناقضات الواقع وتحديات المستقبل، التيجاني بولعوالي، الناشر: مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2006م، (ص: 31).

المطلب الرابع: العلاج لهذه العلاقة من وجهة نظر "إسبوزيتو":

إن ما يجعل حل هذه القضية شائكًا هو التصرفات الغربية غير الصادقة تجاه العالم الإسلامي في الماضي، مما زرع عدم الثقة في نفوس المسلمين تجاه الغرب في أخذ هذه العلاقة إلى بر الأمان، مع وجود ممن يطالب بهذه العلاج من كلا الطرفين بالمقابل.

وحسب استفتاءات جالوب يذكر "إسبوزيتو" نظرة الشعوب المسلمة إلى جدية الغرب في إقامة علاقة جيدة معها، حيث أن الصورة تختلف بين البلدان الإسلامية في جدية اهتمام الغرب في إقامة علاقة أفضل مع المسلمين، – فحسب إستفتاءات جالوب– فبنسبة 64% يرى سكان سيراليون أن الغرب يبدي اهتمامًا لإقامة هذه العلاقة، بعكس تركيا التي يرى فيها الشعب عدم جدية الغرب في إقامة هذه العلاقة، وبنفس النسبة وفي مصر كانت النسبة 57% سلبية أيضًا، وفي الكويت كانت الصورة سلبية بنسبة 53% .

أما نسبة من يرى من المسلمين بأهمية التفاهم الأفضل بين الثقافتين الإسلامية والغربية، مثل السعودية ومراكش ولبنان تفوق النسبة التي لا ترى أهمية لذلك بنسبة 1:2 [73].

لقد أوضح "إسبوزيتو" عند البحث عن العلاج لجعل هذه العلاقة أكثر أمانًا فإنه يناط على كل الجانبين جانب من المسؤلية؛ فمن ناحية الجانب الغربي يقول "إسبوزيتو": "فإن بعض الفهم للإسلام يكون ضرورياً، قبل أن نتحرك لدراسة العلاقات بين الغرب والعالم الإسلامي، وعلاوة على ذلك، فإن بعض الوعي بالقرآن، والنبي والفترة الإسلامية الباكرة أمر لاغنى عنه لفهم الإسلام، طالما أنهم استمروا في طرح نموذج يقتدي به المسلمون والحركات الإسلامية في كل عصر، وبينما نحن نناضل لكي نتخطى النماذج النمطية والميل إلى قصر تصوراتنا عن الإسلام والمسلمين في المتظاهرين الذين يهتفون "الموت لأمريكا" أو (الجهاد ضد الكفار)[74].

هذا من جانب الفهم للإسلام كدين، أما من جانب التعامل مع الشعوب الإسلامية فقد بين "إسبوزيتو" ذلك في السؤال المهم، الذي طرحه على نطاق كبير من مراكش إلى إندونسيسا: ما هي أهم الأمور التي يجب على الغرب القيام بها كي تكون العلاقة أفضل، فقد كانت الإجابة إبداء المزيد من الاحترام والاهتمام ، فهم الدين، عدم إنقاص مكانة البلاد العربية والإسلامية.

([73]) انظر. من يتحدث باسم الإسلام؟، مرجع سابق، (ص: 104-105)، بتصرف.

([74]) التهديد الإسلامي حقيقة أم خرافة؟، مرجع سابق، (ص: 47-48).

وفي سؤال يوضح أكثر في هذه العلاقة كان حول أقل ما يستدعي إعجابك بالغرب ؟ كانت الإجابة هي الكراهية أو الحط من شأن الإسلام والمسلمين، وقد كانت من أعلى الإجابات[75].

كما أكد "إسبوزيتو" أيضا على الدور الذي تقوم به النظرة الغربية تجاه الإسلام في تحديد العلاقة بين الإسلام والغرب، فمن ناحية يُرى أنها علاقة كره ناتجة عن صدام حضاري، ناتج عن كره من قبل الشعوب الإسلامية لأمريكا؛ بسبب الحرية والديمقراطية الغربية، وكره من زاوية أخرى بسبب اختلافات دينية وثقافية، والعلاج يكون في تخطي النماذج الفاشلة لدى الغربيين مثل: "إنهم يكرهون أسلوب حياتنا" والتي تختصر العلاقة بين الإسلام والغرب، في وجود صراع حضاري وقيمي أو صراع على المصالح.

وقد أظهرت استطلاعات جالوب أن طريقة الحياة الغربية ليست سببًا للكراهية في العالم الإسلامي، فالتمييز بين الدول الغربية قائم على السياسة الخاصة بكل دولة لا الثقافة والدين.

فالنظرة إلى أمريكا وبريطانيا أيام حكم بلير، هي نظرة سلبية، بخلاف النظرة المحايدة لفرنسا وألمانيا، ففي جميع البلدان التي شملها الاستطلاع وبمتوسط 75% اقترنت كلمة "لا ترحم" بالولايات المتحدة و13% فقط لفرنسا وألمانيا أما كلمة عدوانية فقد كان نصيب الولايات المتحدة حسب الاستطلاع 64% لدى الماليزيين، وعندما سئل الناس في العشر دول الإسلامية الأولى تأثيرًا: كيف ينظرون إلى عدد من الدول كانت الصفات التي تنسب إلى أمريكا هي 68% متقدمة تكنولوجيًا، و66% عدوانية، و65% مغرورة، و64% فيها انحلال أخلاقي[76].

أما من جانب المسلمين فإن الدور المناط عليهم قد بادروا بالقيام به، وقد ذكر "إسبوزيتو" عدة خطوات قام بها المسلمون كعمل مؤسسي يقود هذه العلاقة إلى بر الأمان ومن هذه الخطوات:

1. بدأ المسلمون بالاستقلال عن الدول الداعمة للدعوة؛ خوفًا من نتائج سياسية عكسية.
2. التركيز على تطوير المراكز الدينية لديهم وتدريب العلماء والقادة الدينيين.
3. أنشئوا مؤسسات لتحسين معرفتهم بالإسلام في الغرب ولحماية حقوقهم.
4. مراقبة وتعليم وسائل الاعلام للمشرعين وعامة الناس.
5. انشأوا المدارس الإسلامية.
6. مراقبة الكتب والمناهج ووضع مناهج تناسب كافة الشرائح.
7. توزيع المنشورات والأفلام والتسجيلات المصورة عن الإسلام والمسلمين.

([75]) انظر. من يتحدث باسم الإسلام؟، مرجع سابق، (ص: 104-105).

([76]) انظر. مستقبل الإسلام، مرجع سابق، (ص: 181-183).

وقد أدت هذه الجهود إلى السماح لهم بالمناداة حول الإصلاح الديني السياسي والبعد عن التطرف والمناداة بحقوق المرأة[77].

يقول الأشقر حول العمل المؤسسي الناتج عن انتشار المسلمين في الغرب: "أصبح للإسلام وجود هائل في عالم الغرب ..[..] ومع كثرة المغريات التي يمكن أن تبعد المسلمين عن دينهم، إلا أن المسلمين في تلك الديار أقاموا كيانات تحتفظ على المسلمين دينهم"[78].

يقول لويس لوجو، (مدير منتدى بيو للدين والحياة العامة): "إن المسلمين الأمريكيين مثلهم مثل بقية الناس في باقي البلاد، لا يرون تعارضًا في أن يكونوا مسلمين ورعين يعيشون في مجتمع عصري"[79].

كما أثبت المسلمون أيضًا جديتهم وحسن نواياهم في إقامة علاقة آمنة مع الغرب، وذلك فور تنصيب أوباما مقاليد حكم الولايات المتحدة الأمريكة:"بعد ثماني سنوات من إدارة بوش، رحب المسلمون كغيرهم في جميع أنحاء العالم برئاسة أوباما بكثير من التوقعات بتغير في الاتجاه"[80].

وهذا لا يعني أنه لا توجد تحديات وصعوبات تواجه المسلمين في الغرب فقد بين "إسبوزيتو" هذه الصعوبات:

أ- قلة الموارد المالية اللازمة لبناء مجتمع مسلم قوي.

ب- هناك عدم ترحيب من بعض غير المسلمين باندماج المسلمين بالمجتمع الغربي.

ولا تقف الصعوبات والتحديات عند هاتين النقطتين، بل تجد المؤسسات الإسلامية من بعض المؤثرين الغربين اتهامات بالتطرف وتنفيذ أجندة لمنظمات متشددة في الخارج[81].

وفي المقابل توجد محاولات حثيثة لاستيعاب الثقافة الإسلامية في المجتمعات الغربية، والتي جاءت بقرارات سياسية أقرتها الدول الغربية، يقول "إسبوزيتو": "في العديد من البلدان، أدت السياسات الحكومية التي وضعت للتحكم في

([77]) مستقبل الإسلام، مرجع سابق، (ص: 58-59)، بتصرف.

([78]) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر الأشقر، الناشر: دار النفائس، الأردن، 1432هـ، (ص: 190).

([79]) مستقبل الإسلام، مرجع سابق، (ص: 213).

([80]) مستقبل الإسلام، مرجع سابق، (ص: 181).

([81]) انظر. مستقبل الإسلام، مرجع سابق، (ص: 59-60).

المجتمع الإسلامي، ولترويض الإسلام على الضغط على المسلمين، ليس فقط لدمجهم في المجتمع متعدد الثقافات، لكن لاستيعاب عوامل الثقافة والفكر الإسلامي من أجل التحكم بحقوق مشاركة كاملة في بلدانهم الجيدة"[82].

والذي يظهر للباحث أن هناك إجحاف في حق المسلمين في ممارسة شعائرهم التعبدية، وتجاهل الديمقراطية الدينية لدى الشعوب، وأكبر مثال على هذا الاستيعاب القهري هو منع الحجاب في فرنسا.

كل هذا بسبب رفض الغرب لكل حضارة غير حضارته يقول السامرائي: "إن الغرب يرفض كل حضارة سوى حضارته، ويرفض كل تميز عنه، إنه يعمل نحو إلغاء الثقافات الأخرى أو إذابتها في ثقافته، ويقاتل كل دين أو عقيدة تعاديه، أو لا تقبل بمشروع (الذوبان)، من هنا فهو يمكّن لكل عنصر يتناغم معه، ويقبل بمشروعه الحضاري"[83]. وهذا هو عين التطرف الغربي.

وقد بين مالك بن نبي ما يجب فعله على أرباب السياسة والفكر حول شعوبهم عندما قال: "لا يجوز لأحد أن يضع الحلول والمناهج، مغفلًا مكان أمته ومركزها، بل يجب عليه أن تنسجم أفكاره، وعواطفه، وأقواله، وخطواته مع ما تقتضيه المرحلة التي تمر بها أمته، أما أن يتسورد حلولًا من الشرق أو الغرب، فإن في ذلك تضييع للجهد، ومضاعفة للداء. إن كل تقليد في هذا الميدان جهل وانتحار"[84].

يقول المسيري أيضًا، عما يجب على المسلمين عمله تجاه الغرب، مما يجعل العلاقة أفضل ويأخدها نحو بر الأمان: "فمعظم أعضاء النخب الحاكمة في العالم الإسلامي وقطاعات كبيرة من المثقفين وعامة الشعب تنظر إلى الغرب باعتباره النموذج الذي يجب أن يحتذى، وليس هذا فحسب؛ بل إن من المؤسف حقاً أن الغرب المثل الأعلى بالنسبة إليهم، الهامبورجر والكاكولا والديسكو والتحرر من القيم، وليس موتسارت وشكسبير والقيم المستنيرة، [...] وفي المقابل، يقوم بعض السلفيين بالاحتجاج على (هذا الغزو الثقافي)، فيرفضون الحضارة الغربية رفضًا كاملًا، والمفارقة أن التبعية الكاملة والرفض الكامل وجهان لعملة واحدة! فهما يفترضان مركزية الغرب، وكلاهما مضطرب في علاقته بالغرب، وهذا يؤدي إلى توليد التوتر والصراع"[85].

([82]) مستقبل الإسلام، مرجع سابق، (ص: 203).

([83]) نحن والصديق اللدود، مرجع سابق، (ص: 107).

([84]) شروط النهضة، مالك بن نبي، الناشر: دار الوطن، القيلوبية، 1437هـ، (ص: 60).

([85]) حوارات الدكتور المسيري، مرجع سابق، (ص: 33).

لقد أورد "إسبويتو" ما قالته ألطاف حسين فيما يجب عمله من قبل المسلمين: "تركيزهم المستمر على العمل الميداني، وأن يسهموا في تحسين المجتمع الأمريكي من خلال تأكيدهم القوي على العائلة والعمل الجاد، وحماية البيئة، وإرساء العدالة[..] وتقول: "بالرغم من أن قلة من جماعتنا في أماكن قريبة وبعيدة من العالم تقوم بأعمال إرهابية تحت اسم الإسلام"، لا يجب أن يردعنا شيئ عن جهل أنفسنا جديرين بالقول والفعل بالدعم الأمريكي [86].

كما يجب على المسلمين أن يتحلوا بما أمرهم الله به من تطبيق للتعاليم الإسلامية، وأن يكونوا فاعلين في مجمعاتهم الغربية بالطريقة المناسبة والتي قال فيها التيجاني: "يمكن الإشارة أيضًا إلى دور المسلمين المقيمين في الغرب، الذين بإمكانهم تمثيل الإسلام خير تمثيل، عن طريق نشر مكارم أخلاقهم من احترام للآخر، واحترام للمواعيد، والصدق في القول والعمل، والتشبث بتعاليم دينهم مع الانفتاح الايجابي على ثقافة الغرب، خصوصا تلك التي لا تتتعارض مع الشريعة الإسلامية"[87].

كما يجب على الحكومات الغربية أن تمنح الشباب المسلم في ظل تزايده في مجتمعاتهم فرصة المواطنة الصالحة، بما لا يعني هذا الإندماح الذوبان في الحياة الغربية والقضاء على الهوية الدينية.

وفي المحصلة نرى أن الغرب لم يفرق بين جوهر الإسلام كدين وبين أولئك القلة من المتطرفين، وهذا شكل خلل في الطريقة التي يتعامل بها الغربيون ضد المسلمين، وهذه العلاقة قد فرضت طبيعتها عوامل عديدة –كما بينا سابقًا–: "العلاقة الحالية القائمة بين الغرب بصورة عامة وبين العالم الإسلامي بالمفهوم الواسع، وهي علاقة تتجاذبها في الغالب أطراف الصراع وأسباب التوتر، ودوافع سوء والظن والتوجس، نتيجة لرواسب تاريخية تسببت في إصدار الأحكام المسبقة على كل ماله، صلة بالإسلام والمسلمين"[88]. إضافة إلى أن عدد المسلمين في الغرب في تزايد كبير مما جعل المسلمين جزء لا يتجزأ من الشعب الغربي.

([86]) مستقبل الإسلام، مرجع سابق، (ص: 48).

([87]) المسلمون في الغرب .. بين تناقضات الواقع وتحديات المستقبل، مرجع سابق، (ص: 38).

([88]) مسلمو الغرب والعالم الإسلامي، عبد العزيز عثمان التويجري، الناشر: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة–إيسيسكو، الطبعة: الثانية، 1436هـ، (ص: 7).

ثامنًا: النتائج:

1. كثيرًا ما يركز "إسبوزيتو" على العلاقات بين الإسلام والغرب التي يغلب عليها جانب الصراعات العسكرية التقليدية؛ متجاهلًا تلك الفترات التي كان فيها تبادل تجاري وعلمي.
2. ومن جانب آخر لم تكن الصراعات اللاهوتية هي سيدة الموقف في الصراع بين الاسلام والغرب؛ بل إن البحث عن المصالح الغربية على حساب المسلمين كانت سببًا كبيرًا في هذا الصراع.
3. اتهم "إسبوزيتو" الدين الإسلامي بأنه دين تصادمي وهذا مخالف للصحة.
4. يظهر للباحث أن التمسك بالهوية الدينية والتعاليم الإسلامي لا يعني بتاتًا عدم المواطنة الصالحة لمسلمي أمريكا والدول الغربية بما يقود العلاقة بين العالمين إلى بر الأمان.

ثبت المصادر والمراجع:

تقصى الباحث في اختياره للمراجع على أن تكون مراجع حديثة-بقدر الإمكان- تناسب الفكرة والزمان، مرتبة ترتيباً تاريخياً من الأقدم إلى الأحدث، حسب سنة الطبع كالآتي:

1. ثورة العرب الكبرى 1916، بقلم أحد أعضاء الجمعيات العربية، الناشر: كتاب الرائد العربي، حماة، 1916م.
2. الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب، محمود مهدي الإستانبولي (ت: 1420هـ)، طبعة: 1400هـ.
3. سلام في تصورات الغرب، محمود حمدي زقزوق، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1407هـ.
4. رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد عبد الحميد غراب، الناشر: المنتدى الإسلامي، الطبعة: الثانية: 1411هـ.
5. زاد المعاد في هدي خير العباد، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت -مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، 1415هـ.
6. نحن والصديق اللدود، السامرائي، نعمان عبد الرزاق، الناشر: دار الحكمة، لندن، 1417هـ.
7. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1420هـ.
8. التهديد الإسلامي .. خرافة أم حقيقة؟، جون إسبوزيتو، ترجمة: قاسم عبده قاسم، الناشر: دار الشروق، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 2001م.
9. المسلمون في الغرب.. بريطانيا دراسة حالة، الناشر: مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية، 2004م.
10. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، إدوارد سعيد، ترجمة: مُحَمَّد عناني، الناشر: رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م.
11. المسلمون في الغرب .. بين تناقضات الواقع وتحديات المستقبل، التيجاني بولعوالي، الناشر: مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2006م.
12. من يتحدث باسم الإسلام، جون إسبوزيتو وداليا مجاهد، ترجمة: عزت شعلان، الناشر: دار الشروق، دمشق، الطبعة: الثانية، 2009م
13. الاستشراق (المعرفة- السلطة- الإنشاء)، إدوارد سعيد، ترجمة: كمال أبو ديب، الناشر: مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة: الثامنة، 2010م.
14. مستقبل الإسلام، جون إسبوزيتو، ترجمة: دار النشر للجامعات، الناشر: دار النشر للجامعات، القاهرة، الطبعة: الأولى،2011م.
15. الإسلام في الفكر الأروبي، ألبرت حوراني، ترجمة: أنس مكتبي، الناشر: جامعة الملك سعود، الرياض، 1431هـ.
16. نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر الأشقر، الناشر: دار النفائس، الأردن، 1432هـ.
17. صراع الحضارات بين عولمة غربية وبعث إسلامي، جعفر شيخ إدريس، الناشر: مجلة البيان، الطبعة: الأولى، 1433هـ.
18. الاستشراق الأمريكي وموقفه من قضايا الفكر السياسي المعاصر برناند لويس، وجون إسبوزيتو، دراسة تحليلية نقدية مقارنة، سامي صلاح الدين زكي، جامعة المنوفية، رسالة ماجستير، 1433هـ.

19. مسلمو الغرب والعالم الإسلامي، عبد العزيز عثمان التويجري، الناشر: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-إيسيسكو، الطبعة: الثانية، 1436هـ.
20. الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، مُحَمَّد عبد الله الشرقاوي، الناشر: دار البشير، مصر، 1437هـ.
21. شروط النهضة، مالك بن نبي، الناشر: دار الوطن، القيلوبية، 1437هـ.
22. حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري، تحرير: سوزان حرفي، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة: 6، 2017م.
23. السياسة الإسلامية والإسلام والسياسي، صلاح الدين أبو الرُّب، الناشر: دار الخليج، الأردن، 2017م.
24. الإسلام والغرب، نصر بن مُحَمَّد الصنقري، مرسى مطروح، ملاحظة: [هذا الكتاب من كتب المستودع بموقع المكتبة الشاملة].
25. بابا الفاتيكان في الميزان، جمعه وأعده: علي بن نايف الشحود، ملاحظة: [هذا الكتاب من كتب المستودع بموقع المكتبة الشاملة].
26. الشرق والغرب المحددات والمؤثرات، علي بن إبراهيم الحمد النملة، ملاحظة: [هذا الكتاب من كتب المستودع بموقع المكتبة الشاملة.
27. معالم تاريخ الإسلام المعاصر، أنور الجندي، الناشر: دار الاعتصام، القاهرة.
28. دعوة الحق بين المسيحية والإسلام، القاضي منصور حسين عبد العزيز، ملاحظة: [هذا الكتاب من كتب المستودع بموقع المكتبة الشاملة].

المواقع الإلكترونية:

(1)www.ecssr.com/ECSSR/appmanager/portal/ecssr?_nfpb=true&_nfls=false&_pageLabel=profilesPage&_event=CustomEventViewPro&prfId=%2FProfile%2FProfiles_1109.xml&lang=ar

(2) www. mazinmotabagani.blogspot.com/2012/07/blog-post_1772.html

(5) www.pewforum.org/2017/11/29/europes-growing-muslim-population